الفصل التاسع عشر

تسريحي من الجيش

بعد أن تقدمت لاختبار اللغة الإنجليزية في شهر تشرين الثاني حاول معلمي في معهد اللغات التابع لوزارة الدفاع أن يشجعني ويحفزني، وقال: إنه على يقين بأنني سأجتاز الاختبار؛ لأنني مجتهدة في فصله وفي الاختبارات الأسبوعية القصيرة، ومن المؤكد أن هذه المرة ستكون آخر مرة أخضع فيها للاختبار، فلا خيار أمامي غير ذلك، إلا أني لن أحظى بفرصة أخرى.

ذهبت إلى غرفة الاختبار، وجلست على مقعدي، وفي هذه المرة ركزت، وبذلت جهدًا في الإجابة عن الأسئلة، وبعد انتهائي من الاختبار انتظرت بفارغ الصبر، حتى تظهر نتيجتي على الشاشة، لكني حصلت على النتيجة نفسها التي حصلت عليها عندما تقدمت للاختبار آخر مرة، أي عندما لم أجب عن أي من الأسئلة.

غادرت الغرفة وأنا أرتعد غضبًا أبقيت رأسي مطأطئًا، وحاولت جهدي ألا أدع أحدًا يرى جبيني المقطب وعينيّ الدامعتين، وفي ممر معهد اللغات أوقفني المدرب العسكري دايفس، وقال لي:

«إلى أين أنت ذاهبة يا حمدان؟!».

مسحت أنفي بسرعة، وحاولت ألا أشهق بصوت عالٍ.

«أنا ذاهبة لأرى العقيد».

«لا يمكن الذهاب لمكتبه بهذه البساطة! عليك أن تتصلي وتحددي موعدًا!».

«لا، أنا ذاهبة لأراه حالًا».

مرّت بنا (رودروجوي) فأمسك دايفس يدها، وطلب منها أن تكون رفيقتي العسكرية، ثم ذهب معنا ليتحدث مع سكرتيرة العقيد، التي دخلت إلى مكتب العقيد لحظة، ثم رجعت، وقالت: إن العقيد وافق على مقابلتنا.

«أخبرتني السكرتيرة: يا حمدان، إنك تريدين التحدث معي حول أمر ما، كيف يمكنني أن أساعدك؟».

«أريد أن أفهم شيئًا، لقد أمضيت هنا ستة أشهر، وعلى الرغم من الجهد الذي أبذله في الدراسة والتدرب، ولغتي الإنجليزية أحسن من غيري من الجنود، إلا أن نتيجتي مازالت كما كانت قبل أن آخذ أي حصة هنا أو تنخفض، ما الخطب؟ إن كنتم لا تريدونني هنا فأخبروني يمكنكم تسريحي الآن، هذا لا يهمني، فأنا لا أريد أن أضيع وقتي».

العقيد: «من معلمك؟».

«يدرس لنا معلم مختلف كل أسبوع».

«ومن معلمك هذا الأسبوع؟».

«براندا».

نهض العقيد مغادرًا طاولة مكتبه، وأخبرنا بأن نتبعه، ثم مشينا خلفه عبر الممر نحو صفي الدراسي دخل العقيد الغرفة، وأذن للطلاب بالانصراف، ثم أغلق الباب خلفه، لكن كان هناك نافذة زجاج للباب لذلك، تمكنت من رؤيته، وهو يتحدث مع براندا. كان هو من يتولى معظم الحديث. أما براندا فأومأت برأسها مرتين، وبالكاد نطقت بأي شيء، ثم رجع العقيد، وطلب مني أن أنهي دراستي لهذا اليوم، ثم أذهب لأتحدث مع الرقيب الأول.

عندما دخلت إلى غرفة الصف نظرت إلي المعلمة براندا، وهي متوترة، وقالت:

«أخبرته بما أعرفه يا حمدان».

«وماذا تعرفين؟».

«أخبرته بما أعرفه، فأنا أعرف أنك طالبة جيدة، وتنجزين الواجبات الدراسية جيدًا».

لم أكن متأكدة إن كان عليّ أن أصدقها، فلم أرَها تحرك شفتيها كفاية لقول هذا للعقيد، فقد كانت تومئ برأسها فحسب، جلست طوال الحصص بعد الظهيرة وقلبي مستشيط غضبًا، فحثني حمد (وهو شاب مصري في عمر ابني البكر تقريبًا) ألا أقلق حول هذا الموضوع، فأجبته قائلة:

«لا، هذا ليس منطقيًّا لماذا أنا هنا إذا كنت لن أحصل على ما أريده؟ الآن عليّ أن أبحث عن عمل آخر».

خلال استراحة بعد الظهر رأيت المدرب دايفس مرة أخرى.

«هل أنت بخير يا حمدان؟».

«لا، لست بخير متى سيتم تسريحي؟».

«لا أعرف. لم يقولوا لي شيئًا».

«يجب أن أتصل بأندريا؛ لتأتي، وتلتقط صورًا لي، وأنا أغادر القاعدة، وعلي أن أجد مكانًا أعيش فيه».

رجعت إلى الحصة، وسألتني براند إن كنت لا أزال غاضبة.

«أريد فقط أن أعرف بماذا أخبرته».

«أخبرته عن أدائك في الصف، وما الصعوبات التي تواجهينها».

«لكنك لم تخبريني بأنني أواجه أي صعوبات! لقد كنت أراقبك من خلال النافذة في أثناء حديثك مع العقيد، ولم أرَك تتحدثين أبدًا، لقد كنت تومئين برأسك فحسب. فلماذا تختلقين كل هذا؟».

«أرجوك غيّري هذا الموضوع يا حمدان».

أنهينا الحصة الدراسية، ورجعنا إلى الثكنات، ثم أخذت هناء، إحدى الجنديات العراقيات، معي رفيقة عسكرية، وذهبنا إلى مكتب الرقيب الأول، فنظر إلي غير مستغرب، وقال:

«لماذا أنت غاضبة يا حمدان؟».

«أنت تعرف لماذا! سرّحني من الخدمة فحسب، أنا لا أريد أن أبقى هنا بعد الآن».

«استمعي إلي يا حمدان، لدي اقتراح لك إن رضيت باقتراحي فسوف أمدد مدة بقائك في القاعدة مدة شهر دراسي باجتهاد لاختبار اللغة الإنجليزية، وتقدمي لاجتيازه مرة أخرى. وفي غضون ذلك يمكنك أن تفكري فيما ستفعلينه إن لم تجتازي، فكري في نوع العمل الذي

ستبحثين عنه، وأين ستعيشين، وخلال هذا الشهر المقبل سيتوافر لديك على الأقل ثياب وطعام، وسقف يُؤويك».

فغضبت منه، وقلت بصوت مرتفع: «هل تعتقد أنني لم أحظَ بهذه الأشياء قبل أن آتي إلى هنا؟ أنا لم آتِ إلى هنا للحصول على هذه الأشياء!».

ثم أكملت حديثي، وأنا أبكي، قائلة: «لقد عملت بجد هنا، وقد اجتزت كل الاختبارات تقريبًا باستثناء اختبار اللغة الإنجليزية الخاص بالعسكرية لقد كنت جندية جيدة، وعينني المدربون العسكريون مسؤولة. أنا لا أفهم لماذا لا تريدونني أن أبقى هنا!».

حاول الرقيب الأول أن يهدئني، وقال:

«ابقي هنا شهرًا آخر فقط، سوف أمنحك الوقت لترتيب أمورك ولتفكري فيما ستفعلينه، تحدثي إليها يا هناء، أخبريها بأن تقبل هذا العرض».

رجعت أنا وهناء إلى الثكنات، كان جميع المدربين العسكريين موجودين في مكتب، أدركت من ملامح وجوههم أنهم يعرفون ماذا يجري، لكنهم لم يستطيعوا قول أي شيء.

سألني دينسون: «هل أنت بخير يا حمدان؟».

نظرت إليه لحظة، لكني استدرت، ومشيت متجهة نحو الثكنات دون أن أجيبه، لم يحاول أي من الجنود أن يقول شيئًا، وكأن هناك شيء ما غامض لا أستطيع تفسيره، وعندما وصلنا للثكنات جلست على الأرض أمام خزانتي، وبدأت بالبكاء، كانت بعض الجنديات يقفن بقربي مرتبكات وحائرات، ماذا يقلن لي، فهن لم يروني في هذه الحالة من قبل؛ لأنهن تعودن على رؤيتي أبتسم، وأكافح ضد ألمي دون استسلام أو بكاء.

ثم فتح دينسون الباب، فأسرعت جميع الجنديات الى أماكنهن، فقال لهن:

«ما الأمر؟ أهناك حفلة ستذهبن إليها؟».

وبينما هو يتمشى في الثكنات توقف المدرب دينسون أمامي، وسألني عن سبب بكائي، ثم ظل يمشي ذهابًا وإيابًا في القاعة، وهو يغني: لا تبكي عليّ! لا تبكي عليّ!

رفضت أن أتحدث معه، واكتفيت بالجلوس هناك أحضن ركبتيّ والدموع منهمرة من

عينـيّ ظل دينسـون يحاول بعضـ الوقت، لكن في النهايـة وجب عليه المغـادرة لينهي جولاته التفقدية. ثم جاءت هناء، ووضعت يدها على كتفي، كانت هناء في عمري نفسه تقريبًا، ولديها زوج وولدان في ولاية ميشيغان.

ابتسـمت لي برفـق، وقالت: «أرجـوك يا فدوى، أن تقبلي الصـفقة التي عرضـها عليك الرقيب الأول، ابقي هنا شهرًا آخر، فأنا وحيدة هنا، ولا أعرف شخصًا آخر أتحدث معه».

لم أجب، كان علينا أن نذهب لتناول العشـاء عند السـاعة ٥:٣٠ مسـاءً، لذلك نهضـت، وذهبت إلى دورة المياه لأغسـل وجهي، وفي طريقي إلى قاعة الطعام حاول بعض الشـبان أن يرفعوا من معنوياتي، وكان بينهم شـاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، اعتاد أن يناديني (ماما). قال ذلك الشاب لي:

«من أزعجك؟ فقط أخبريني، وسوف أذهب لأعاقبه!».

«لا تقلق، أنا متعبة قليلًا فحسب».

وبعد الغداء رأيت دايفس، وسألته مجددًا: متى سيتم تسريحي؟ فقال لي:

«أرجوك يا حمدان، لا تدفعيني لفعل شـيء تعرفين أنه يمكن أن يورطني في مشـكلات، فلا يمكنني قول شيء حاليًّا».

وخلال الوقت الشخصي اتصلت بأندريا، وأخبرتها بما حدث.

«إذن أنت لا تعرفين بالضبط متى سيتم تسريحك؟».

«لا، ليس لدي فكرة عن ذلك».

في اليوم المقبل بقيت ألحّ على دايفس ليخبرني بشيء عن تسريحي، وفي النهاية أخبرني بأن اسمي على قائمة التسريح في تاريخ ١٥ كانون الأول، فضحكت، قائلة:

«ولكن اسمي على لائحة المتقدمين لاختبار اللغة الإنجليزية في الرابع عشر، فإذا قرروا أن يسـرحوني في اليوم المقبل، فلماذا يسـمحون لي بالتقدم مجددًا لاختبار اللغة الإنجليزية؟ إنهم يعرفون مسبقًا أنني سأرسب أو بعبارة أخرى إنهم سيغادرونني».

سكت دايفس لحظة، وقال:

«لا أدري، فربما تجتازين الاختبار، ويصبح كل شيء على ما يرام».

وفي أواخر شهر تشرين الثاني، وبينما كنت أنتظر رسوبي المحتم والأخير في اختبار اللغة الإنجليزية، اتصلت أندريا بي، وأخبرتني بأنها قادمة إلى (سان أنطونيو) لتزورني، وأرادت مني أن أجد طريقة كي تدخل إلى القاعدة العسكرية لترى بعينها طبيعة التدريبات العسكرية التي أفعلها، فاتصلت أندريا بالرقيب الأول والعقيد (آبل)، لكنهما أخبراني بأن ليس بإمكانهما السماح لأندريا بدخول القاعدة بسبب بعض التعليمات الخاصة بسلاح الجو.

وفي يوم الأربعاء عند الساعة ٧:٠٠ مساءً تقريبًا، وبينما كنت أجلس في قاعة الثكنات أدرس بالقرب من خزانتي، سمعت هاتفي يرنّ داخل خزانتي. فأسرعت، وفتحت الباب، ونظرت لهاتفي كانت أندريا هي المتصلة، فالتفتّ حولي لأتأكد من خلو القاعة، ثم انحنيت برأسي داخل الخزانة لأردّ عليها.

همست قائلة: «لا يمكنني التحدث الآن يا أندريا. إنه ليس الوقت الشخصي».

«أريد أن آتي لرؤيتك يا فدوى، هل يمكنك التحدث مع أحد المدربين العسكريين؟».

أخذت رفيقة عسكرية، وذهبت لأرى المدرب دايفس.

«أيها المدرب، إن أندريا هنا في المدينة، وتريد أن تزورني في القاعدة، هل يمكنك جلب تصريح لها؟».

ضحك قائلًا:

«هل رددت على هاتفك يا حمدان؟ أنت تعرفين أنه ليس الوقت الشخصي».

«نعم، لكني تحدثت دقيقة فقط، إذن هل يمكنها الحصول على تصريح؟».

«هل منحك الرقيب الأول الإذن؟».

«لا».

«إذن كيف تتوقعين مني أن أعطيك تصريحًا؟ فلا يمكنني مخالفة ما قاله لك».

ظللت ألحّ عليه.

«أرجوك أيها المدرب! أرجوك أيها المدرب!».

تبعته، وهو ينفذ جولاته التفقدية في القاعة الرياضية وغرفة الحاسوب والثكنات. وظللت أطارده حتى أذعن وقبل. فأسرعت عائدة إلى الثكنات لأتصل بأندريا؛ لأخبرها بأن بإمكانها أن تزورني، ثم رجعت، وأخبرت دايفس، فسألني مازحًا:

«هل هي جميلة على الأقل؟».

«نعم، لكنها متزوجة».

فقال: «يا للخسارة!».

وصلت أندريا إلى الثكنات في الوقت الشخصي، وعندما وصلت الى القاعدة اتصلت أندريا، وأعطاها دايفس إرشادات الطريق نحو الثكنات، ثم استدعاني على مكبرات الصوت.

«يا قائدة الثكنات، إن صديقتك في طريقها إليك».

جلست في قاعة الرياضة مع هناء إلى أن وصلت أندريا. كنا في الوقت الشخصي؛ لذلك كانت الجنديات الأخريات يمضين وقتهن في الثكنات، عندما وصلت أندريا سكن الثكنات نظرن إليها بفضول، عندما دخلت إلى القاعة الرياضية، فقد كانت هي الشخص الوحيد هناك الذي يرتدي ملابس مدنية. منحت أندريا تصريحًا مدة أربعة أيام لتزورني، ثم سألت أندريا دايفس إن كان بالإمكان أن تجري معه مقابلة كلامية.

«لا، لا أريد ذلك».

فقلت: «لكنها تريد فقط أن تطرح عليك أسئلة عني».

وافق أخيرًا، وجلس على الأريكة في قاعة الرياضية، فطرحت أندريا عليه بعض الأسئلة حول أدائي في الجيش، وحاولت أن تجعله يفسّر طبيعة اختبار اللغة الإنجليزية، وسبب عدم اجتيازي له. فأجاب:

«لا أعرف».

بدا غير مرتاح.

اصطحبت أندريا إلى ثكنات الجنديات، وأريتها المكان، فالتقطت بعض الصور لسريري وخزانتي، سأل بعض الجنديات الأخريات: من تكون تلك المرأة؟، فقلت لهن: إنها صديقتي.

بعد أن انتهى الوقت الشخصـي ودعتني أندريا، وأخبرتني بأنها ستحضـر في الصـباح لتشاهد جلسة التدريب البدني، وعندما حل الصباح سرنا في تشكيلة، وكانت أندريا تجلس في سـيارتها، وتراقب من بعيد، فقد أرادت أن تعرف شـعورنا إزاء حيـاة الجيش، ووقوفها أمامنا يمكن أن يشعرنا بالخجل لم تتحدث أندريا إليّ طوال النهار.

بعـد ذلك رأيـت أندريا مجددًا يوم الجمعـة، فأخذتها بعد الغداء لترى المسـجد. وعلى الرغـم مـن أن أندريا كانت معي كان لا يزال عليّ أن أصـطحب رفيقة عسـكرية، لذلك أخذت هناء معي، كانت هناء مسيحية، لكن لا مشكلة لديها في أن تذهب للمسجد.

التقطت أندريا صورًا لي، وأنا أصلي في المسجد، ثم سجلت صوتي أنا وهناء ونحن نغني أغنية عسكرية.

رآني المدرب (روسي) أتحدث مع أندريا، وسألني عنها؟

«هل هي صديقتك؟».

«نعم، لقد أتت لتزورني من مدينة نيويورك».

«هل تسـافر جميع صديقاتك كل هذه المسافة من نيويورك ليزرنك! لا بد أنك شخصية مهمة!».

وفي يوم السبت مساءً اتصلت أندريا بالثكنات وردّ عليها دينسون.

أصـبح الجميع يعرف الآن أنها تزورني، لكنهم اعتقدوا أن الرقيب الأول أعطاني الإذن، سمح دينسون لأندريا بأن تعود للثكنات، وجلس معنا على طاولة في منطقة مكتب.

«إذن، قطعت كل هذه المسافة من نيويورك لتزوري حمدان؟».

ابتسمت أندريا، قائلة: «نعم، فدوى حمدان شخصية مشهورة، ألا تعرف ذلك؟».

نهض دينسون، وتجوّل في الغرفة، ثم سألته أندريا عن أدائي العسكري؟

«إنها جندية جيدة، وهي ممتازة في تنفيذ تمارين الضـغط في الحقيقة، أعتقد أن عليها أن تنفذ بعض تلك التمارين الآن».

قلت له مازحة: «لا، ليس الآن أيها المدرب!».

ضحك قائلًا: «نعم، أعتقد أن الوقت مناسب لذلك».

كان أحد الجنود الآخرين يراقبنا، وسمعته يهمس لأحدهم بأن دينسون يبتسم. المدرب دينسون لا يبتسم أبدًا، فهو جدي للغاية، ثم غادر دينسون لينجز بعض الأعمال، فتحدثت أنا وأندريا أكثر من ساعة على الأقل، بعد ذلك عاد دينسون، وأخبرني بأن وقت النوم قد حان.

وفي صباح يوم الأحد عادت أندريا إلى الثكنات، وطلبت الإذن من ميندوزا بأن تلتقط بعض الصور.

«حسنًا، سأعطيك تصريحًا، لكن لا يمكنني فعل ذلك الآن».

قاطعت الحديث، قائلة: «أيها المدرب، إنها تريد أن تلتقط بعض الصور لي فحسب».

فأومأ برأسه موافقًا.

التقطت أندريا صورًا لي، وأنا أسير في التشكيلة، لكنها في النهاية لم تضع هذه الصور في المقال؛ لأن بعض الجنديات الأخريات ظهرن في الصور، ومن المحتمل أن يتضايقن إذا نشرت صورهن، ثم مشت أندريا خلفنا في طريقنا إلى قاعة الطعام، وهناك سمح لها ميندوزا بأن تجلس معنا لتتناول الفطور.

جلست أنا وأندريا على الطاولة، وتناولت فطوري اليومي الذي يتكون من حلقات الفواكه وناتشو الجبن.

نادى المدرب العسكري ميندوزا قائلًا: إن أمام المجموعة ثلاث دقائق لتنهي طعامكم بالكامل، ثم مشى جندي مصري بقربي يحمل صينية طعام، فنظرت إليه نظرة حادة، وقلت مازحة:

«ثلاث دقائق، أسمعت ذلك؟».

ابتسم لي، ومضى في طريقه.

ثم سرنا إلى الثكنات، وأعطاني ميندوزا تصريحًا لأذهب مع أندريا إلى التدريب البدني.

«أريد أن أسجل صوتك يا فدوى».

شعرت بالتوتر من تسجيل صوتي، لذلك سألتني إن كان بالإمكان فعل ذلك في المسجد، حتى أشعر بهدوء أكبر؟ فذهبنا وجلسنا في قسم النساء، ثم ضغطت أندريا على زر التسجيل،

كنت حائرة، عندما أردت قول ما يجول في خاطري، وكان عليّ أن أتوقف مرات عدة، وكنت غالبًا لا أستطيع التفكير في الكلمة الإنجليزية لأعبر عن شيء ما، فكان علي أن أصحح نفسي.

«لا تقلقي بسبب لغتك الإنجليزية يا فدوى، يمكنني مراجعتها فيما بعد، تظاهري بأنني لست موجودة، وأنك تتحدثين مع نفسك».

وهكذا أخبرتها بقصتي، أخبرتها عن مشكلاتي العائلية، ولماذا قررت أن أنضم للجيش، وأخبرتها أيضًا عن برنامج (ليما ٠٩) وكم كنت محبطة من اختبار اللغة الإنجليزية، وبكت أندريا عندما أخبرتها عن أطفالي.

«أشعر يا أندريا، بأنني ضيّعت وقتي هنا، فالرقيب الأول يظل يخبرنا بأننا نحظى هنا بملابس ومكان لننام فيه، لذلك يمكننا التركيز على الدراسة فحسب، لكن لا نفع في ذلك، فما زلت لا أستطيع اجتياز الاختبار، وأنا لا أحتاج إلى أن يعطوني ملابس ومكانًا أنام فيه، أنا أريد الحصول على مال لأرسله لأطفالي، وأعيّن محامي؛ حتى أحصل على الطلاق».

سألتني أندريا إذا كان بإمكاني أن أعطيها رقم زوجي حمزة في السعودية، وقالت : أريد أن أجري مكالمة معه حول رأيه في انضمامك للجيش، فوافقت، وأعطيتها الرقم.

وفي صباح يوم الإثنين بعد أن غادرت أندريا عائدة إلى (نيويورك) بدأت بعض الجنديات يتجادلن، وطلبن مني الإذن باستخدام هواتفهن الجوالة (فأنا مازلت قائدة الثكنات على الرغم من أنني سأسرّح بعد بضعة أسابيع) لم أسمح لهن بأن يستخدمن هواتفهن الجوالة؛ لأن الوقت الشخصي لم يحن بعد، وعندما غادرت الغرفة ذهبت اثنتان منهن إلى الرقيب الأول لتخبراه بزيارة أندريا لي والتقاطها الصور، فاستدعاني أنا ودينسون ودايفس وروسي إلى مكتبه.

«أهذا صحيح يا حمدان؟ هل أتت صديقتك أندريا إلى هنا؟».

«نعم».

«ومن أعطاها الإذن؟».

بدا جميع المدربين العسكريين مذعورين.

أجبته بصراحة، وقلت: «عندما أتت إلى هنا طلبت الإذن من المدرب دايفس. كان دايفس على أية حال أعلى رتبة من الآخرين، لذلك يمكنه أن يتحمل اللوم، ثم أكملت، قائلة:

«أنا آسف؛ لأني فعلت ذلك من وراء ظهرك أيها الرقيب. كل ما في الأمر هو أنني أعرف أنه سيتم تسريحها وعليها أن تنهي قصتها، لقد التقطت صورًا لي فقط، ولم تلتقط صورًا لأي شخص آخر، يمكنها أن ترسل الصور لك حتى ترى بنفسك إن أردت».

أذن لي بالانصراف من مكتبه، كان ميندوزا في مكتب المرضى.

فمزح قائلًا: «هل أتيت إلى هنا من أجل قصتك فقط يا حمدان؟».

«لا، أيها المدرب! لقد أردت أن أنضم للجيش».

كان أحد مُستقدمي المجندين، الرقيب (سيبولفيدا)، يقف مع المدرب العسكري ميندوزا، فقال لي:

«سمعت أنك مؤلفة يا حمدان!».

«نعم، لقد كتبت بعض المقالات حول التداوي بالأعشاب، وكتابين حول المأكولات الشرقية، وكتابًا فيه نصائح لتربية الأطفال. وأنا الآن أترجم هذه الكتب إلى الإنجليزية».

«حقًّا؟ ماذا تفعلين هنا إذن؟ يمكنك نشر كتبك وجني المال منها على فكرة، عندما تنشرين الترجمات أرسلي لي بريدًا إلكترونيًّا، فأنا أريد الحصول على نسخة!».

«بالطبع، لا مشكلة».

كتب بريده الإلكتروني، وأعطاني إياه.

كانت هذه اللحظات السعيدة تخفف برهة من الضغط الذي أشعر به، لكني كنت أعرف أن موعد اختبار اللغة الإنجليزية قد اقترب.

وفي مساء اليوم المقبل اتصلت أندريا، فأخبرتها بما جرى، وكيف غضب الرقيب من حضورها إلى الثكنات دون تصريح منه.

فقالت:سأكلمه وأعتذر له، دعيني أخبرك ماذا حدث بعد أن كلمت زوجك حمزة، عندما اتصلت بالرقم في المملكة العربية السعودية، ردّ رجل علي باسم زوجك، فسألته: ما رأيك في التحاق زوجتك فدوى بالجيش الأمريكي. فقال: «هذا اختيارها، وليس لدي أي شيء للقيام به تجاهها،» ثم أغلق الهاتف في وجهي، ولم يتح لي أن أسأله أي سؤال آخر.

وفـي ١٤ كانـون الأول تقدمـت لاختبار اللغـة الإنجليزية مرة أخـرى، ولا عجب أنني لم أجتـزه، لكن علـى الرغم من أنني كنت أتوقع هـذا، وأعرف تمام المعرفة أن شـيئًا لن يتغير، إلا أنني شـعرت بموجة الغضـب نفسها التي شـعرت بها بعد كل اختبار للغة الإنجليزية. تركت معهد اللغات دون أن أخبر أحدًا، ولم أصـطحب رفيقة عسكرية، فذهبت إلى الثكنات، ومررت بالمدرب العسكري روب في مكتب المرضى، فسألني قائلًا:

«إلى أين أنت ذاهبة يا حمدان؟».

«لا أريد أن أتحدث إليك أو لأي شخص آخر، ولا أريد أن يأتي أحد بحثًا عني».

أخرجت هاتفي من خزانتي، وتوجهت إلى المسـجد؛ قسـم النساء صليت، وجلست على الأرض، وبكيت، ثم اتصلت بأندريا.

«ماذا حدث يا فدوى؟».

«تقدمت لاختبار اللغة الإنجليزية مرة أخرى اليوم، ورسبت فيه».

«ما عليك إلا أن تصـلي، أرجوك لا تفعلي شـيئًا تؤذي نفسـك، الصـلاة جيدة لك. متى سيتم تسريحك؟».

«غدًا على الأغلب».

«هل تعرفين إلى أين ستذهبين؟».

«لا أستطيع أن أفكر في هذا حاليًّا».

أنهينا المكالمة، واستلقيت على السجادة، ويدي تحت رأسي، وغلبني النعاس، ثم عاودت أندريا الاتصال بي بعد ساعة تقريبًا؛ لتتأكد أنني بخير، فأجبتها:

«نعم، أنا بخير كنت نائمة فحسب».

طلبت أندريا الإذن مني لتنشر قصتي.

«نعم، لكن عديني أن تنشـري القصـة كما حدثت، فإذا أصـابني مكـروه أريد أن يعرف أطفالـي كم أحببتهم، فعلى الرغم من أنني لم موجودة معهم طوال الوقت، لكن لم أتوقف عن الكفاح من أجلهم».

«حسنًا، سأفعل ذلك».

شعرت بالضياع، فقد كان علي البدء من جديد ومجرد التفكير في الأمر جعلني متعبة، لدرجة لا توصف، وبعد أن استلقيت على سجادة المسجد ساعتين تقريبًا نهضت أخيرًا، وغسلت وجهي وعدت إلى المعهد، وهناك وجدت دايفس يبحث عني كان يبدو قلقًا.

«أين كنت؟ اعتقدت أنك ربما فعلت شيئًا لتؤذي نفسك».

«لا أريد العودة، فأنا لم أجتز الاختبار لماذا عليّ أن أذهب إلى المعهد إذا كنت سأسرّح؟ ما الفائدة من هذا كله؟».

«أرجوك عودي إلى الحصة يا حمدان، ثم اذهبي إلى الثكنات».

ذهبت إلى الحصة، وجلست هناك كالصنم.

المدرس: «أنت تعرفين إجابة هذا السؤال يا حمدان، فلماذا لا تخبرينا به؟».

«أنا لم أعد طالبة بعد الآن».

وعندما عدت للثكنات أخبرني دايفس بأنه سيتم تسريحي في اليوم المقبل، كانت عطى ستسرّح في اليوم المقبل أيضًا، ولم يتم تمديد مدة بقائها؛ لأنها رسبت في الاختبارات القصيرة أيضًا، وليس فقط اختبار اللغة الإنجليزية، وكانت قد هربت من منزل والديها في نيوجيرسي، عندما انضمت للجيش، لكن والدتها تحدثت معي على هاتف ابنتها عطى. «أرجوك يا فدوى، أن تعتني بها، كأنها ابنتك؛ لأننا لا نستطيع أن نكون هناك بقربها».

حزمت أنا وعطى أغراضنا، وأعطيت الشامبو خاصتي ومقتنيات شخصية أخرى إلى بعض الجنديات الأخريات، ثم سألت دايفس إن كان بالإمكان الاحتفاظ بزيي العسكري؟ فقال: «لا مانع».

كان لا يزال علي أن أنفذ مهمة الحراسة الليلية، ولم أردّ أن أذهب إلى النوم، وأستيقظ بسرعة عند الساعة ١:٠٠ صباحًا، تسلّمت رسالة نصية من جون على جوالي مدرسي للغة الإنجليزية في المركز العربي الأمريكي لتعزيز الأسرة في نيويورك. «فدوى، ماذا حدث؟». أجبت على رسالته النصية، ثم جلست في الغرفة لم أشغل التلفاز، بل جلست هناك فحسب.

وفي منتصف الليل اتصلت بي أندريا.

«أنا أعمل طوال الليل يا فدوى، هناك مجموعة منا يعملون على تجميع قصتك، وسوف تنشر عند الساعة ٤:٠٠ صباحًا، إنها موجودة حاليًّا على الموقع الإلكتروني هل بإمكانك رؤيتها؟».

«لا أعرف إن كان بإمكاني استخدام الحاسوب».

ضغطت على زر الطوارئ لأستدعي دايفس، فأتى مسرعًا إلى الغرفة.

«أما زلت مستيقظة يا حمدان؟ ما المشكلة؟».

«ليس هناك أي مشكلة أنا مستيقظة لأنني سأنفذ مهمة الحراسة بعد ساعة».

سألته إن كان بإمكانه الذهاب إلى حاسوبه والبحث عن اسم أندريا في محرك البحث، فحاول، لكنه لم يجد شيئًا، ولم يخطر لي بأن أجعله يبحث عن اسمي؛ لذلك كان علي الانتظار حتى اليوم المقبل لأرى قصتي في صحيفة النيويورك تايمز.

أنهيت مهمة الحراسة التي دامت من الساعة ١:٠٠ إلى ٢:٠٠، ثم جلست على حافة سريري حتى الساعة ٤:٠٠ مساءً، ثم أيقظت عطى، وارتدينا ملابسنا المدنية، ثم أخذني المدرب مارسيس أنا وعطى إلى قاعة الطعام؛ لنتناول الفطور. وعندما انتهينا من تناول الفطور اتصل علي جون مرة أخرى، وقال لي:

«هل قرأت قصتك على الموقع الإلكتروني يا فدوى؟».

«ليس بعد، فلم يتح لي الوقت».

رجعنا إلى الثكنات لنجلب حقائبنا، ثم كان علينا الرجوع إلى قاعة الطعام مع الآخرين، ونحن نمشي وراءهم ظلّ الجنود والجنديات يطلبون مني أن يتصوروا معي، وتبادلنا بريدنا الإلكتروني، وبعد بعض المجاملات ذهبوا ليمضوا يومًا آخر في المعهد، وذهبت أنا وعطى مع مارسيس إلى شاحنة صغيرة ستأخذنا لنرى المحامي في فورت سام قاعدة عسكرية أخرى.

صعدت أنا وعطى في الشاحنة الصغيرة، التي قادها مارسيس إلى فورت سام. وهناك أعطوا كل واحدة منا تذكرة طائرة إلى ولايتها الأصلية، أي إلى نيويورك بالنسبة إلي، وهي

الولاية التي كنت أعيش فيها عندما انضـمـمت للجيش، لكن مكتب المحامي كان مغلقًا بسـبب استـراحة الغداء، فخيّرنا مارسـيس بين الذهاب إلى قاعة الطعام، أو إلى المتجر العسـكري لتناول الغداء، فاخترنا الذهاب إلى المتجر العسـكري، وهناك طلبت دجاجًا مقليًّا، وانتظرت على جنب، وعندما نادت أمينة الصندوق على اسمي أعطتني شطيرة برجر.

«لكن هذه ليست طلبيتي».

ثم تقدم رقيب أمريكي من أصول إفريقية نحو الكاونتر، وقال:

«هذه لي».

ابتسم بحرارة، ثم جلس على بُعد أربع طاولات تقريبًا من الطاولة التي جلست أنا وعطى عليها ظلت عطى تسألني من ذاك الشخص، وعن ماذا كنا نتحدث؟ فأجبتها:

«لا أعرف من هو، فلم أتحدث معه عن أي شـيء كل ما في الأمر هو أنهم أعطوني طعام غدائه».

وبعد أن أنهينا تناول الطعام ذهبت إلى متجر سـتاربكس، وطلبت أول كوب قهوة شـربته منذ سبعة أشهر، اتصلت أندريا بي أكثر من مرة لتطلعني على مستجدات المقال.

«اتصـل الكثيـر من الناس بي، وعرضـوا أن يقدموا لك وظيفة، لكنهم ليسـوا في سـان أنطونيو».

لكنــي أردت البقاء في (سـان أنطونيو) فعلى الرغـم من أنني سـأترك الجيش إلا أنني أردت معرفة سـبب رسـوبي مرات عدة في اختبار اللغة الإنجليزية، بينما نجحت إيمان وسباتا وبـركات فيــه، وإذا تركت الولاية لن أتمكن من إجراء أي تحريات حـول الأمر، وبعد أن أنهيت مكالمتــي الهاتفيــة مع أندريــا بدأت أنا وعطى نتحدث عما سـنفعله بعد أن يتم تسـريحنا من الجيش بعد ظهر ذلك اليوم.

«ما اللغة التي تتحدثينها؟».

كان الرجل الذي رأيته في قاعة الطعام يقف خلفي، فأجبته:

«العربية».

«هـذا مـا ظننته، لقد تمركزت في الكويت مدة معينة، وحاولـت أن أتعلم القليل من هذه اللغة، عندما كنت هناك».

كان يدعى (تود). وقام بكتابة اسـمه ورقم هاتفه على قصاصـة ورق، وسألني أيضًا عن اسمي ورقم هاتفي؟، وقال لي:

«سأتصل بك لاحقًا».

وبعـد أن ودعنا بعضـنا وجـدت أنا وعطى مارسـيس ينتظرنـا في الخـارج بالقرب من الشاحنة الصغيرة.

«هل استمتعتما بتناول وجبة الغداء؟».

ابتسمت قائلة: «نعم، فأخيرًا شربت القهوة مرة أخرى».

«أكانت لذيذة؟».

«نعم!».

ثـم أخذنا إلى مكتب المحامـي، وانتظرنا في الخارج، ثم أخبرونا بأننا منحنا تسـريحًا تكريميًّا، أي إنه يمكننا الانضمام مجددًا للجيش بعد ستة أشهر،لم تفهم عطى كلام المحامي، فسـألني إن كنـت أتحدث لغتهـا، وإن كان بإمكاني ترجمة ما يقوله؟، ثـم وقعت كل واحدة منا وثائق التسـريح، وأخذنا معنا نسـخة عنهـا، وأعطى المحامي كل واحدة منا نسـخة من كتاب عنوانـه «**مـن العمـل العسكـري إلى العمـل المدني: دليـل لمساعـدة موظفـي الجيش على الانتقال لوظيفة أخرى**»، الذي يفترض أن يساعدنا على معرفة ما سنفعله الآن.

عندما غادرنا مكتب المحامي كان مارسيس في انتظارنا.

«هل انتهيتما؟».

«نعم».

«إذن أنتما لستما جنديتين بعد الآن».

ثم قاد بنا الشـاحنة الصـغيرة إلى المطار، وفـي الطريق أخبرنا مارسـيس عن جندي أوصله أخيرًا إلى المطار ليذهب إلى التدريب الأساسي.

obeikandl.com

«جلس هناك في مقعد الركاب، وأخبرني بكل شيء ممنوع يعرفه عن الجنود الآخرين، من ينام مع من، وأين يخفون الشوكولاتة والسجائر! أتصدقن ذلك؟».

أنزلنا مارسيس أمام المطار، وأعطانا حقائبنا.

«حظًّا سعيدًا يا بنات».

ثم انطلق مبتعدًا، فأصبحت أنا وعطى مسرّحتين رسميًّا من الجيش، وبينما أنا جالسة على مقعد خارج مطار (سان أنطونيو) تساءلت إن كان مقال صحيفة النيويورك تايمز قد أخاف المسؤولين الكبار في الجيش؟ فربما اعتقدوا أنني أحاول أن أصبح مشهورة أو جاسوسة تحاول أن تفشي أمورًا عن الجيش لعامة الشعب، لقد حاولت أن أطمئنهم بأن المقال يدور حولي فقط، لكن ربما لم يصدقوني. وها أنا الآن أجلس على مقعد مرة أخرى، لا مأوى لي، ولا أعرف ما سأفعله لأجني المال، ولا أين سأعيش أو كيف سأخرج من هذه الدائرة المفرغة المليئة بالترقّب والإحباط.

obeikandl.com